

العراق.. جيل جديد يسير بالعراق إلى الحرية

د. باهرة الشيلخي
كاتبة عراقية

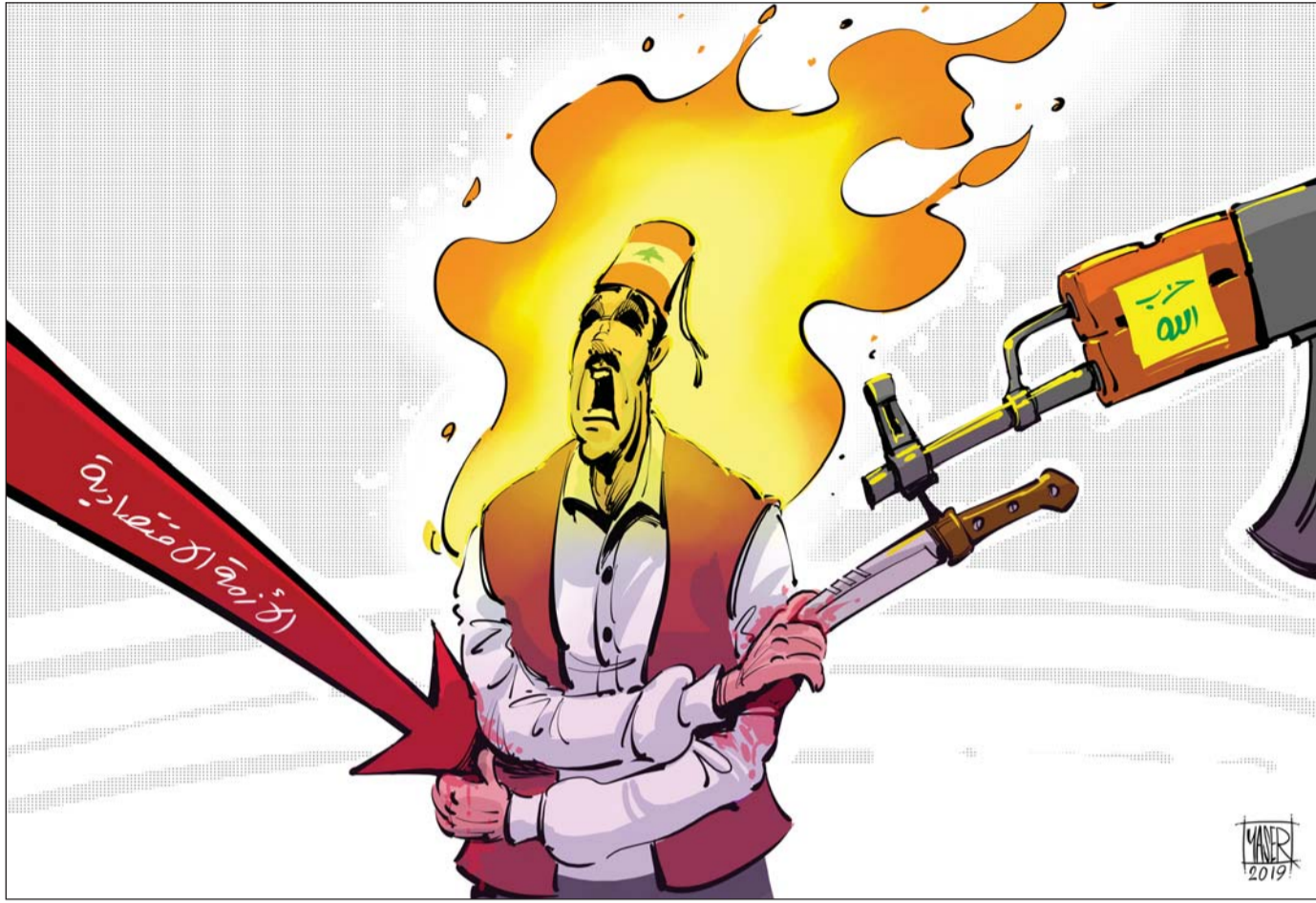
لأول مرة في تاريخ العراق كله يحدث أن الشارع العراقي هو الذي يحرك أحزاب المعارضة ويقودها لا العكس، إذ تماهت الأحزاب والحركات السياسية التقليدية في العراق وذابت في الحراك الشعبي، الذي حدد أهدافه بوضوح، بعد 16 سنة من التغيير الجديد، الذي حدث بفعل الاحتلال الأجنبي للبلاد، إن أحداً من أحزاب الدين السياسي، التي يسميها العراقيون أحزاب الطوائف، لم يحسب للحساسية العراقية من التدخلات الخارجية في شؤون البلاد، وخصوصاً إيران، أي حساب، بل إن تلك الأحزاب سدرت في غيها وحسبت أن الشيعة مجبرون لصالح إيران ويؤيدون نفوذها في العراق، وجعلوا عصاباتهم الميليشيائية ترتكب جرائم توحى للعالم بأن حسابهم صحيح وأغلوا في التجييش الطائفي وعموا على أي مظهر مقاومة أو رفض شعبي لسياساتهم، حتى جاء الطرف المناسب ليحبر الرفض الشعبي عن نفسه بوضوح ليرى حتى الأعمى سياسياً أن الطائفة محض وهم أرادت ترسيخه العصابات والأحزاب الموالية لإيران.

زوال حالات العنف المستفحلة في العراق لا يمكن أن يتم إلا بتأسيس حكومة مدنية تضي بالبلاد إلى شاطئ الأمان والاستقرار وعودتها إلى ممارسة دورها في ترصين الأمن والسلام العالميين وطرد النفوذ الإيراني

قاد ذلك الوهم السياسية الإيرانية إلى خطأ مهلك عندما صور لها أتباعها أنه حقيقة، فبدأوا يستفزون الكرامة الوطنية العراقية، وأخذ مسؤولون إيرانيون يطلعون تصريحات كثيرة حول تبعية العراق لبلاد فارس، ليس آخرهم آية الله أحمد علم الهدى، إمام جامع مدينة مشهد في إيران، عضو مجلس خبراء القيادة، ممثل الولي الفقيه في محافظة خراسان، الذي قال في خطبة له، مؤخرا "إيران اليوم ليست فقط إيران، ليست محددة بالحدود الجغرافية، اليوم الحشد الشعبي في العراق هو إيران، حزب الله في لبنان هو إيران، أنصار الله في اليمن هم إيران، الجبهة الوطنية في سوريا هي إيران، الجهاد الإسلامي وحماس في فلسطين هما إيران، جميعهم باتوا إيران، لم تعد إيران نحن فقط، سيد المقاومة نصر الله أعلن أن المقاومة في المنطقة لها إمام واحد، وهذا الإمام هو المرشد الأعلى للثورة الإسلامية". ثم طرح عدة تساؤلات "هل تدركون أين إيران.. هل تريدون أن تعلموا أين هي؟ ليس جنوب لبنان

هو إيران؟ ليس حزب الله هو إيران؟ طائرات الدرون اليمنية، التي تسبب باضرار كهذه للسعودية، ليست إيران هناك؟ تقولون إن طائرات الدرون أتت من الشمال وليس من الجنوب؟ شمال أو جنوب ما الفرق؟ إيران هي الأثنان، جنوبكم وشمالكم". هذه التصريحات المعبرة عن السياسة التوسعية لنظام الولي الفقيه الإيراني هي وجه آخر من أوجه العنف، المسكوت عنه في وسائل الإعلام العراقية والعربية والعالمية، والذي لا يعاني منه العراق فقط، وإنما دول المنطقة برمتها، وقد شرعت أبواب العنف في العراق منذ اليوم الأول للاحتلال الأميركي، إذ بدأت صفقة القتل العشوائي، قبل أن تتفجر شلالات الدم ويصبح القتل منهجا منظما لميليشيات ولاية الفقيه، وإلى جوارهم قناصو المارينز وفرق الموساد، التي حصدت أرواح المثام من الكفاءات ما بين أكاديمي وطبيب وعالم وخبير وفنان مبدع، وتزامنت معها نيران الحرب الأهلية بقيادة الدين السياسي المسلح، التي استمرت حتى عام 2007 لتعود من أن إلى أن، فيما بقي العنف الحكومي المنظم بقيادة الميليشيات الإيرانية نهجا ثابتا، وأسفر عن وجهه الحقيقي في تظاهرات الأول من هذا الشهر. ومن أوجه العنف أيضا التهجير القسري والإعتداءات على دور العبادة، وصولا إلى تسميم المياه ونفوق الأسماك وحرق مزارع الحنطة، وأصابع الاتهام في ذلك كله موجهة إلى إيران.

وكما توقع العارفون بكيمياء الشخصية العراقية فإن تظاهرات العراقيين التي بدأت بالمطالبة بالخدمات، وانتهت بالمطالبة برحيل الطبقة السياسية التي فتحت لإيران الأبواب كلها لنشر نفوذها في البلاد، ستتحوّل إلى ثورة تعم العراق كله، بعد أن فشل النظام السياسي الحالي في خلق نخبة وطنية مستقلة تعمل من أجل العراق وشعبه الجريح، وكانت النتيجة أن الجمهور العراقي الحساس لم يتألف مع السياسات التي انتهجتها تلك الطبقة، وبدأ يدعو إلى استقلالية العراق عن إيران، وأخذ جيل عراقي جديد ينشط بعيدا عن الأحزاب الطائفية وغيرها يطالب بالحرية ويبحث عن الحياة الكريمة. وهذه العوامل وغيرها جعلت جماهير شبابية متحمسة تنزل إلى الشوارع وتحتج على فساد الحكومة، التي استخدمت القوة المفرطة في التعامل مع المتظاهرين السلميين، وقتلت وجرحت الآلاف منهم، وتوهمت مرجعية السيستاني عندما اعتقدت أنها قادرة على ضبط الشباب وإخضاعه لسيطرتها، كذلك ارتكبت إيران حماقة كبرى إذ وصلت دفع قواتها المسلحة بحجة حماية الزوار. إن زوال حالات العنف المستفحلة في العراق لا يمكن أن يتم إلا بتأسيس حكومة مدنية تضي بالبلاد إلى شاطئ الأمان والاستقرار وعودتها إلى ممارسة دورها في ترصين الأمن والسلام العالميين وطرد النفوذ الإيراني، وذلك لا يمكن أن يتم على يد الحكومات التي فرضت على العراق ولا في ظل العملية السياسية الحالية، التي أصبحت لإيران الكلمة العليا فيها.



المعادلة السياسية الجديدة التي صنعها فتية العراق

مباشرة لحكومة عادل عبدالمهدي بأنها غير قادرة على توفير الحماية. لكن الغرض الحقيقي هو مواجهة الشباب الثائرين إن حاولوا تجديدا انتفاضتهم بعد العشرين من أكتوبر الحالي وبعد بدء الفصل الجديد من المواجهة بين شعب العراق والدخلاء.

يحاول أنصار ولي الفقيه من بين بعض المثقفين والسياسيين العراقيين إيراني الهوى والعقيدة تنظيم حملات إعلامية بعضها مسموح به على واجهات قنوات فضائية عراقية وعربية للدفاع عن النظام الإيراني وإبعاد شكوك تورطه في المواجهات الأخيرة. وهؤلاء الإعلاميون والمثقفون يعتدون على هوية الثورة الشبابية ويبررون سياسة نظام طهران في العراق ومازوا الساحة بعد تخلي كثير من المثقفين العراقيين عن الدخول في هذه المعركة الشريفة. ويكذبون بكل وقاحة بالقول إنه "لا توجد سياسة تصدير الثورة"، مع أن دستور النظام يقر ذلك. ويغالطون ما رفعه المتظاهرون الشباب من شعارات "إيران بزه بزه" في مدن البصرة والناصرية وبغداد، وتمزيقهم لصور خامنئي، في ردّ عراقي على بعض اللصوص والسراق الذين يحمون أنفسهم بالجرؤ على وضع صور خميني وخامنئي على مكاتبتهم، والأخطر أن هؤلاء العملاء للخارج مصرون على أن فصول المؤامرة زالت قائمة وينسجون السيناريوهات "لاميركا والصهيونية" بتنفيذ المؤامرة المزعومة ضد العملية السياسية في العراق وضد نظام طهران رغم أن الرئيس دونالد ترامب أصبح أكثر وضوحا في حمايته وعدم عداوته لذلك النظام بل يريد تاديب الابن الضال، وأن وضع العراق لا يعنيه الآن.

إن معادلة الصراع أصبحت أطرافها مكشوفة وتراجعت الخيوط الضبابية التي كانت في الواجهة. معركة شباب اليوم بلا غطاء أو دعم خارجي فهي ضد التدخل السافر في شؤونهم من قبل نظام ولاية الفقيه، ويعتقد هؤلاء الفتية أن طريقهم قد يكون طويلا وشاقا لكنهم سيعيدون لأبائهم وأمهاتهم وأخوانهم كرامة العراقي وقيمه وحقه في الحياة الكريمة، أما الدخلاء والمحتلون فزمنهم قصير.

معركة شباب اليوم بلا غطاء أو دعم خارجي فهي ضد التدخل السافر في شؤونهم من قبل نظام ولاية الفقيه، ويعتقد هؤلاء الفتية أن طريقهم قد يكون طويلا لكنهم سيعيدون لأبائهم وأمهاتهم كرامة العراقي وقيمه وحقه في الحياة الكريمة

اليوم تلمع وجوه رفاقهم باستحضار تاريخهم النضالي، وكان هذا التاريخ الجهادي ضد النظام السابق أصبح له مكان في الحاضر ومطالباته، ويتم من قبل بعض الأحصنة المتعبة المترهلة التي أتخمت بالمال والفساد والقسوة على الشعب الصابر الإيهام بجزئيات مثل وضع تبعات الانفجار الشبابي على رأس الهرم الحكومي الحالي، عادل عبدالمهدي، أو تقديم قرارات لمعالجة البطالة والسكن وكان هذه ليست من أولويات أي نظام لديه الحد الأدنى من مقومات الحكم وهو الذي يمتلك هي خزانته ويسحب يوميا من بطن أرض العراق المليارات من الدولارات دون المس الحقيقي بجوهر مشكلة العراق. ويحاولون تبريد النار في قلوب عوائل الشهداء والعراقيين جميعا ببعض مفردات الخطابية الملائية وطقوس المسارح الحسينية، وكَم قليل من هوامش المال، لكن الحقيقة هي التوسع بمزيد من القتل وتمزيق صدور الشباب بعد حملات التعذيب العاصف للمعتقلين على أيدي الجالدين وأخذ التعهدات منهم بعدم التظاهر.

خسر هؤلاء الحكام مرتين، الأولى بمعاداتهم للشعب العراقي، والثانية بخروجهم من المعركة الأخيرة كوكلاء للطرف الحقيقي من خارج حدود العراق التي استباحت وهو نظام خامنئي الذي قرر الدخول في المواجهة في العراق بنقله الأيديولوجي واللوجستي معتقدا، وفقا لمعلومات وكلائه الذين لم يصدقوه القول، أن المنتفضين في مدن البصرة والناصرية والعمارة وكربلاء وبغداد هم فتية أخذت منهم المخدرات ماخذها، ونزعت منهم البطالة عوامل المواجهة وهم مناصرون للحكم "الإلهي"، ولهذا قدم خطابه لهم على ذات الإيقاع القديم وهو "التصدي لمؤامرة التفريق بين الشعبين الإيراني والعراقي"، مع أن هذين الشعبين يواجهان ذات الظلم والقسوة ويرفضان أن يكونا وقودا لنار الثورة

هناك معادلة سياسية مهمة جديدة أوجدتها انتفاضة شباب العراق بعد 15 عاما من حكم حزب الدعوة والمنظمات الإسلامية وزعامات التقديس المهني، والقوى الإسلامية الشيعية التي فقدت آخر أعطيتها. أهم حدث نوعي قد يغفله كثيرون في انتفاضة الأول من أكتوبر هو تغيير معادلة المعارضة للحكام الفاسدين في التخلي النهائي عن الملعبات الأيديولوجية القومية والبيسارية والدينية التقليدية التي ارتبطت بعهود ما قبل العام 2003 في العراق. فأبطال تلك العناوين السابقة اندثروا ما بين معارض لم تبق في جعبته غير الذكريات عن الحلم القومي العربي، أو الماركسية اللينينية، أو حكم الخلافة الإسلامية، أو قابل بالمرآة من بعيد على مشهد بلده الدامي وتأييد أبنائه وأحفاده الفتية بما يصنعونه من أسطورة جديدة. كما سقطت وتفككت جميع الأسلحة التقليدية للحكام الفاسدين بأنهم حماة الدين والمذهب الشيعي لأنهم قمعوا أبناءه وشبابه ولم يعد بمقدورهم تقديم أغطية جديدة للدفاع عن إمبراطورية الفساد ومافياتها، فاضطروا إلى الدخول بادوات القمع التقليدية لمواجهة الشباب الثائر. هذا التطور يقدر ما هو قاس ومؤلم لأن فيه تضحيات بالأرواح إلا أنه بشكل مقدمات لانتصار على القوة الخفية الكبيرة التي اضطرت إلى الدخول بعناوينها وقواها الأصلية وهي النظام الإيراني باسم رئيسه. فعادة ما تلجأ القيادات الإستراتيجية إلى الدخول مباشرة في الاشتباك حين تعجز القوى الفرعية أو تخسر في معركة أو أكثر، وهذا ما يحصل اليوم في بغداد ومحافظات الوسط والجنوب رغم المحاولات اليائسة لإخفاء عناوين طرفي الصراع وعناصرهما وأسلحتهما وتحويل أنظار الرأي العام إلى فقاعات إعلامية مثل "المسوسين" والمؤامرة على النظام السياسي، وكان هذا النظام يكتسب قسوته وحصانته من رجاله الفاسدين والعابثين بشعب العراق.

ولو كانت حججهم حقيقية لبادروا إلى اللمة صفوفهم وغيروا بعض العناصر الأكثر سوءا في هذا النظام، وقدموا ما يمكن أن يشكل بداية جذية للتغيير، لكن ما يحصل هو العكس حيث تتبارى رموز هذا النظام في تجديد تحالفاتها بسبب الشعور بالخطر، وحتى أولئك الذين رفعوا شعارات ما سمي بالمشروع الوطني وركنوا جانباً عن المسؤولية المباشرة يحاولون

الإيرانية، كما وجه رأس النظام في طهران لقواته المسلحة بالدخول إلى الأراضي العراقية بعدد 7500 جندي إيراني مسلح تحت غطاء حماية "أربعينية الحسين" ووفق تصريحات رسمية إيرانية في إهانة

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

هناك معادلة سياسية مهمة جديدة أوجدتها انتفاضة شباب العراق بعد 15 عاما من حكم حزب الدعوة والمنظمات الإسلامية وزعامات التقديس المهني، والقوى الإسلامية الشيعية التي فقدت آخر أعطيتها. أهم حدث نوعي قد يغفله كثيرون في انتفاضة الأول من أكتوبر هو تغيير معادلة المعارضة للحكام الفاسدين في التخلي النهائي عن الملعبات الأيديولوجية القومية والبيسارية والدينية التقليدية التي ارتبطت بعهود ما قبل العام 2003 في العراق. فأبطال تلك العناوين السابقة اندثروا ما بين معارض لم تبق في جعبته غير الذكريات عن الحلم القومي العربي، أو الماركسية اللينينية، أو حكم الخلافة الإسلامية، أو قابل بالمرآة من بعيد على مشهد بلده الدامي وتأييد أبنائه وأحفاده الفتية بما يصنعونه من أسطورة جديدة. كما سقطت وتفككت جميع الأسلحة التقليدية للحكام الفاسدين بأنهم حماة الدين والمذهب الشيعي لأنهم قمعوا أبناءه وشبابه ولم يعد بمقدورهم تقديم أغطية جديدة للدفاع عن إمبراطورية الفساد ومافياتها، فاضطروا إلى الدخول بادوات القمع التقليدية لمواجهة الشباب الثائر. هذا التطور يقدر ما هو قاس ومؤلم لأن فيه تضحيات بالأرواح إلا أنه بشكل مقدمات لانتصار على القوة الخفية الكبيرة التي اضطرت إلى الدخول بعناوينها وقواها الأصلية وهي النظام الإيراني باسم رئيسه. فعادة ما تلجأ القيادات الإستراتيجية إلى الدخول مباشرة في الاشتباك حين تعجز القوى الفرعية أو تخسر في معركة أو أكثر، وهذا ما يحصل اليوم في بغداد ومحافظات الوسط والجنوب رغم المحاولات اليائسة لإخفاء عناوين طرفي الصراع وعناصرهما وأسلحتهما وتحويل أنظار الرأي العام إلى فقاعات إعلامية مثل "المسوسين" والمؤامرة على النظام السياسي، وكان هذا النظام يكتسب قسوته وحصانته من رجاله الفاسدين والعابثين بشعب العراق.

